12 me Année No. 564

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

Lundi - 24 - 4 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

العـــدد ٥٦٤ « القاهرة فى يوم الإثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ أبريل سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

الفن والاصـــلاح

للأستاذ توفيق الحكيم

لم يزل موضوع الأدب العربى ومستقبله فى حاجة إلى كلام ، على الرغم من الأدلة القوية التى ساقها أخى أحمد أمين بك فى رده على كلمتى السابقة . وأخشى أن يتبادر إلى الذهن أننا نتجادل فى قضية لنا فيها مصلحة . فالواقع المعروف أن أكثر مؤلفات أحمد أمين مثل « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » و « قصة الفلسفة » الخ. بعيدة عن الاتجاه القوى أو الاجتماعى الذى يرجوه لأدبنا العربى ؛ كما أن بعض كتبى مثل « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » قد رمت بالفعل إلى هذا الهدف منذ زمن . فالقصة الأولى (عند ما نشرت بالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧) كتب عنها ناقد يقول : « لو كان بريس Barrès[1] حياً واطلع عليها لنعتها بقصة النشاط القومى » . كما أن الكتاب الآخر يرمى كما هو معلوم إلى نقد المجتمع الريفى بحكامه ومحكوميه ؛ فأنا إذن أقرب إلى تلك الدعوة ولى فى نجاحها مصلحة أكثر مما لصديقى أحمد أمين . ولكن العقيدة الأدبية والإيمان الفنى أقوى فيما يبدو عند كل منا وأرفع من المصالح الخاصة والغايات

(١) الكاتب والسياسي المشهور صاحب المؤلفات القومية النزعة

الشخصية . فمناقشتنا اليوم تقوم في جوهرها إذن على الرغبة المجردة في الوصول إلى غرض واحد : هو كيف نبلغ بأدبنا العربي قمة الكمال ؟ الغاية واحدة ولا ريب ولكن السبل مختلفة ؛ فأحمد أمين يرى أن أدبنا لن يصل إلى مرتبة الآداب الأوربية إلا إذا خاض مثلها في طريق الحيـاة العامة ، فنقد الفاسد من أوضاع المجتمع ، وقوّم المعوّج واقترح وسائل الإصلاح ، ونادى بالنافع من العلاج ، والمستحدث من النظم . وكان له من أعلامه قادة للرأى العـام يبصرونه بمواقع خطاه في طريق التقدم الاجتماعي . واتخذ من أناتول فرانس وبرنارد شو وتولستوى مثلاً يحتذى

وهنـا يجدر بنا أن نسأل : هل من الحق أن الأدب الأوربي بلغ مبلغه هذا بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية ، أو بفضل قيمته الفنية ومزاياه الأدبية ؟ وهل نزعات الإصلاح الاجتماعي هي اللون الغالب في الآثار الأوربية ، أو إنها لون ليس بالغالب حتى في آثار المؤلف الواحد ؟

الذى أعلمه هو أن أناتول فرانس أديب ، وأن برنارد شو مؤلف مسرحي ، وأن تولستوى قصصي . وتلك هي صفاتهم التي تؤخذ على سبيل الجد . أما ميول فرانس وشو الاشتراكية ونزعات تولستوى الإصلاحية ، فهي نواح ينظر إليها تارة بغير احتفال ، وتارة أخرى على أنها توابع أو ظواهر ودلائل قد تفسر على ضوئها بعض أعمالهم الأدبية وآثارهم الفنية

إن الآداب الأوربية لم تحترم يوماً فناناً أو أديباً لأنه مصلح ؛ ولكنها قد تحترم المصلح إذا كان أديباً أو فناناً . ولعل أبرز مثل لذلك هو « إبسن » ؛ فقد هزته أحداث بلاده السياسية والاجتماعية فكتب تمثيليات مفعمة بروح الإصلاح مثل «براند» و «عدو الشعب» و «بيت العروس» الخ . ومات إبسن وتغير مجتمعه ونظر الناس في أعماله ... وكاد يهزأ النقد به وبآرائه في السياسة والمجتمع ، لولا فنه . وهكذا مات المصلح في إبسن وبقى الفنان

نحن الشرقيين تبهر عيوننا دائماً كلمة « مصلح » بقدر ما تستهين بكلمة «فنان» . وإني لا أنسى دهشتي يوم قرأت في مجلة « ماريان » الباريسية نقداً للطبعة الفرنسية من « يوميات نائب في الأرياف » للناقد المعروف « رامون فرناندز » يقول فيه : « إن القارئ لهذا الكتاب ينسى في أغلب الأحيان المقاصد الإصلاحية التي حركت المؤلف لوضع كتابه ، بل إن القارئ يتمنى ألا يتغير شيء في عالم هذه المخلوقات الإنسانية » صدمني هذا القول لأني كنت أعتقد أن مقاصد الإصلاح لها الاعتبار الأول في مثل هذا النوع من الكتب ، وأن صفة المصلح هي التي يجب أن توضع موضع التقدير

لقد تحدث الأستاذ احمد أمين في أكثر من موضع عن الروايات الغرامية وغرامة الحب بما ينم عن الازدراء ... فذكرني ذلك من فوري برواية شكسبير « روميو وجوليت » ؛ وقلت في نفسي : ها هي ذي قصة ليس فيها إصلاح لمجتمع ولا نهوض بشعب ، وكل ما فيها غرامة الحب . ومع ذلك فقد خلدتها الإنسانية حيث طرحت ومزقت كثيراً من صفحات المصلحين وكتابات الهادين والمرشدين . إن الإنسانية لأدرى بمـا يسرها وأعلم بما يسعدها مني أنا ومن أخي احمد أمين . كم من المؤلفات المملوءة بالإرشاد والإصلاح قد نشرت وظهرت ولم تحتفظ بها ذاكرة الزمان ... ولكنها احتفظت بقصة غرام وقصيدة غزل ورواية حب عارم ... وإذا كان حقاً أن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض ، فماذا نقول في بقاء «روميو وجوليت» وفناء الكثير من القصص الإنكليزى الذى قصد به إصلاح المجتمع ؟ بل ماذا نقول في خلود قصـة « غادة الكامليا » لدوماس الصغير وموت أكثر رواياته الأخرى التي عالج فيها موضوعات اجتماعية كلها جد وحسن قصد . . .

كلا ... لا ينبغي أن نملي على الفن اتجاهاً بعينه . ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة أو رداء الإصلاح الوقور ... إلا أن يشاء هو ويرضى ... لأننا إذا أرغمناه سخر منا وجمل من أردية رزانتنا ووقارنا أثواب مساخر ، وقلب بسحره أثواب الهزل خلوداً تنحنى أمامه الجباه على الرغم منا . لقد أصاب « أندريه جيد » إذ قال إن الفن لا ينبغي له أن يثبت

شيئاً ولا أن ينفي شيئاً . إن الفن العالي ليس أداة للجدل . إنما هو شيء كالسحر ينفذ إلى النفوس فيحدث فيها أشياء . إن الفنان ليس مصلحاً ولكنه هو صانع المصلح . كل أولئك المصلحين من ملوك وزعماء وساسة ما كوّنهم وهيأهم لرسالات الإصلاح غير أدب الأدباء وشعر الشعراء وفن الفنانين . إن الفنان هو مصلح المصلح ولا شيء غير ذلك . أما أن ينزل الفنان بفنه إلى الميدان يناقش ويدافع ويهاجم وينافح . . . فهذا ما لم تره حتى الآن في فن استحق البقاء في أي أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات . من الحق أن بعض أهل الفكر والفن قادوا الرأي العام في بلادهم وبلاد العالم ، ولكنهم كانوا في الواقع يعملون ذلك باعتبارهم شخصيات عظيمة مفكرة من واجبها أن تبدي آراءها في المسائل الكبرى . لا باعتبارهم فنانين يقحمون فنهم في ميادين الشئون اليومية . لطالما تحدث الشاعر « ڤاليري » عن المشكلات الإنسانية التي تمس المجتمع العالمي الحاضر ، ولكن هل رأيناه وضع ذلك في قصيدة واحدة من قصائده ؟ إن قيادة الرأي العام واجبة على الأديب . ولا ينسى أحمد أمين ندائي إلى الأدباء أن يتسلموا القيادة الروحية والفكرية في أول هذه الحرب وما قام حول هذا النداء من جدل ؛ ولكن الذي أراه خطراً على الأدب هو قهر الأديب على أن يتجه اتجاهاً بعينه في صميم فنه . وحسبنا أن نتأمل حال الأدب في البلاد الدكتاتورية التي كبلت وحي الأدباء بالقيود فلم تخرج من قلوبهم إلا كتابات مفتعلة تفوح برائحة واحدة كأنها خارجة من مطبخ واحد . إن الفن هو الحرية . حرية الفكر والشعور . ولا منبع له إلا فكر الفنان وقلبه . هما وحدهما المأويان له . إن الوعي الفردي هو روح الفن . فإذا أردنا إبادة الفن واستئصاله من الأرض فلنقتل فيه ذلك الوعي الفردي . ولقد أصاب صديق الطرفين الكاتب الكبير العقاد إذ قال في تعليقه على مناقشاتنا هذه : « إن اتجاه التاريخ الإنساني متقدم من الاجتماعية إلى الفردية » . وهذا حق ؛ إذ الفردية هي عنوان الكرامة الإنسانية . هي شعور الإنسان بقيمة فكره وإحساسه لا بفكر الجماعة وإحساسها . إن الحيوان لا يفكر بفكره ولا يحس بإحساسه . إنما هو يفكر ويحس بغريزة الجماعة كلها والنوع كله . ولن يرقى الحيوان إلى مرتبة الإنسان إلا إذا استقل في تفكيره وإحساسه . إن الوعي الاجتماعي في الحيوان هو الذي جعل الحيوان حيواناً ، والفردية أي الحرية هي التي جعلت الإنسان إنساناً . على أنه لا ينبغي الخلط بين الفردية والأنانية . فإني حينما قلت إن « الفنان الذي لا يقول أنا ليس بفنان ، كما أن العالم إذا قال أنا ليس بعالم » . إنما قصدت إلى المعنى الفني لا المعنى الخلقي . قصدت أن الفنان هو الذي يقول « إن الطبيعة جميلة لأني أراها جميلة » . أما العالم فلا ينبغي له أن يقول ذلك . ولكن عليه أن يقول : « الطبيعة جميلة أو قبيحة ، ساكنة أو متحركة ، لأن البحث والتحليل والبرهان والدليل تؤدي إلى هذه النتيجة » . الفنان هو الذي يكشف عن الطبيعة من خلال نفسه . والعالم هو الذي يكشف عن الطبيعة من خلال المجهر . وكلاهما يكمل الآخر في بناء المعارف الإنسانية . ولا ينبغي لأحدهما أن يلجأ إلى وسائل الآخر في استجلاء الحقائق واستكناه الطبائع . إن الفن مصدره الشخص ، والعلم مصدره الموضوع . الفن شخصي والعلم موضوعي . الفن يقول « أنا » أي « نفسي » ؛ والعلم يقول « هو » أي « الشيء » .

أما أن يخدم الفنان والعالم أمته وقومه فهذا واقع بالبداهة والضرورة ، لأن آثار الفن والعلم لا تبقى ولا يمكن أن تبقى إلا إذا رأى الناس في بقائها منفعة . فلا ينبغي أن نقول للفنان والعالم : « اصنعا شيئاً نافعاً للناس » بل يجب أن نقول لهما فقط : «اصنعا فناً وعلماً» .

وبعد فأراني قد أثقلت على القراء وعلى أخي الجليل أحمد أمين بك ، وإني لأشكره إذ أتاح لي هذه الثرثرة التي تريح النفس أحياناً ، كما أحمد له ويحمد له القراء هذه الموضوعات التي يقع عليها بعين بصيرته النافذة ويعالجها بما عرف عنه من إشراق ذهني ينير للناس غوامض الأشياء . وله من أخيه المعجب بفكره وأدبه أخلص التحية .

نونية أبي تمام في رثاء ولده

للأســتاذ جليـل

للدكتور محمد صبري أن يرى في مقالته « الحكم على الشعر وأساليب النقد والتحليل » في الرسالة الغراء (٥٦١) أن نونية أبي تمام في رثاء ولده[1] قد فاتت رائيته في محمد بن حميد الطوسي التي يقول فيها :

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن كبراً أن يقال به كبر

والأستاذ عبد الرحمن شكري أن يستعجب في إحدى مقالاته في الرسالة كيف أن حبيباً — وهو في الرثاء ما هو — لم يجد في النونية إجادة ابن الرومي في الدالية التي رثى بها ولده . غير أن تلك القصيدة فائقة كانت أو مقاربة[2] ليست لأبي تمام وإن جاءت في ديوانه المطبوع وفي المخطوط في دار الكتب المصرية (عمّرها الله) ؛ فإن أبا بكر الصولي يقول في مصنفه (كتاب الأوراق) في سيرة (أبي محمد القاسم بن يوسف) : « وقال — يعني القاسم هذا — يرثي ابنه أبا علي محمداً » وأورد القصيدة بتمامها ، وروى بعدها دالية للقاسم في رثاء ابنه محمد وبيتين آخرين له تجانسها كل المجانسة . والصولي هو المشغوف بحبيب . وهو صاحب أخباره وجامع أشعاره فيستبعد أن يأخذ منه ليعطي غيره كما يستبعد أن يضل في الرواية ، وهو الراوية العظيم . وما حدثتنا (أخبار أبي تمام) له ولا (هبة الأيام) للبديعي ولا مؤلفات كتبت سيرة حبيب أن له ابناً ، كنيته أبو علي ، فجع به فرثاه بشيء ، ولا أن له ابنا اسمه محمد درج وأخوة[3] لأبي تمام في عام واحد فبكاهم بمقطوعة (أربعة أبيات فقط) ختامها :

تتابع في عام بنيّ وإخوتي
فأصبحت إن لم يخلف الله مفرداً

ولا نعرف لحبيب ولداً إلا « تماما » ذكره الأنباري في « نزهة الألباء » في سيرة أبيه ، والصولي في كتابه « أخبار أبي تمام » وأورد له هذه الحكاية : « لما ولي محمد بن طاهر خراسان دخل الناس لتهنئته ، فكان فيهم تمام بن أبي تمام الطائي فأنشده (وروى الصولي ثلاثة أبيات ركيكات) فاستضعفت الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال محمد لعبد الله ابن إسحاق ، وكان يعرفه الناس وهو على أمره : قل لبعض شعرائنا أجبه ، فغمز رجلاً في المجلس ، فأقبل على تمام فقال وروى ثلاثة أبيات ثالثها :

فهاك إن شئت بها مدحة
مثل الذي أعطيت أعطاكا

فقال تمام : أعز الله الأمير ! إن الشعر بالشعر رباء ؛ فاجعل بينهما رضخاً من دراهم حتى يحل لي ولك . فضحك محمد وقال : إن لم يكن معه شعر أبيه فمعه ظرف أبيه . أعطوه ثلاثة آلاف درهم . فقال عبد الله بن إسحاق : ولقول أبيه في الأمير عبد الله ابن طاهر :

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا
فقلت : كلا ولكن مطلع الجود

ثلاثة آلاف أخرى ، قال : ويعطى ذلك »

وأما صاحب النونية التي وهبها الوراقون أو غير الوراقين لغنيّ ، عنده قناطير — هو القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح القبطي ، وهو أخو أحمد بن يوسف وزير المأمون . قال الصولي : « لما ولي أخاه القاسم خراج السواد ، فجباه فضلاً مما جباه غيره في سائر أيام المأمون ، وكان أحمد بن يوسف إذا عرض على المأمون النفقات قال : يا أحمد ، القاسم يجمع ، ونحن نفرق ... »

وقد اشتهر القاسم بمدح البهائم (أعني الحيوانات) ومراثيها . قال المرزباني في (معجم الشعراء) : القاسم شاعر ، حسن الافتتان في القول ، وهو أشعر من أخيه احمد وأكثر شعراً ، وهو أرثى الناس للبهائم

وقال أبو الفرج في الأغاني في أخبار أخيه احمد : شاعر مليح الشعر ، وكان قد جعل وكده في مدح البهائم ومراثيها ، فاستغرق أكثر شعره

وقال الصولي في كتاب الأوراق : القاسم أسن من أحمد ، وأحسن شعراً منه ، وأفصح في شعره ، وأشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم — من جميع المحدثين حتى إنه لرأس فيه ، متقدم جميع من نحاه ، وما ينبغي أن يسقط شيء من شعره ، لأنه كله مختار ، وللناس فيه فائدة » ثم روى له طائفة كبيرة من مراثيه في الجماعة ...

* * *

---

(١) مطلعها :
كان الذي خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

(٢) شيء مقارب : وسط

(٣) كان لحبيب أخ اسمه سهم ، ذكره البديعي في (هبة الأيام) وكان قصده في « سر من رأى » المدينة ، ثم عاد إلى دمشق

رأى الأستاذ توحيد السلحدار

فى كتابى: «الوعى القومى» و «دراسات عن مقدمة ابن خلدون»

أهدى أحد الفضلاء فى لبنان هذين الكتابين القيمين إلى صديقنا الأستاذ الكبير محمد توحيد السلحدار، فلما قرأهما كتب إليه كتاباً جاء فيه :

ذكرتُ فى بعض ما كتبت « للرسالة » أن من أصحاب الفكر والذوق للمعانى مَن قال : إن الثقافة وعى أطراف صالحة من أثمار العقول، العلمية والفنية والأدبية ، بها يلتفت المثقف إلى المبادىء والأسباب والقوانين ، ويرشد قومه إلى الأصلح الحالم ، والأنفع لترقيتهم ، والأخلق بالإنسانية

وكتاب « الوعى القومى » لبادعه الفاضل ، الدكتور قسطنطين ذريق ، أستاذ تاريخ الشرق بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، ثمرة شهية من أثمار الثقافة الجدية ، ومثال رائع يتجلى فيه معناها

هو كتاب يبيّن حال الشرق العربى الحاضرة بعُجرها وبُجرها ، ويعرف وسائل التخلص منها ، ويهديه - إذا هو أراد أن يهتدى - سبل الأهداف والمثل العليا والحياة بين الأحياء ، ويحثه على سلوكها

ولقد جمعت أجزاءه ووحّدت توجيهاته الحكيمة فكرته الأساسية مركّزة فى عنوانه المحكَم البليغ ، مرفرفة على كلامه السهل الممتنع الرفيع من أول البحث إلى آخره ، حيث هدأ القلم ، وحيث تفجّرت من سنّه حرارةٌ وطنية وعاطفة إنسانية

قوّاه صاحبه بروحه العلمي ووضوح حجته ، وجمّله بنور بصيرته وبراعته الكتابية الفنية وبكياسته فى التمهيد للنقد وبيان العلل ، ولطف مدخله فى النصيحة . وقد شف كلامه عن عمق إيمانه بحقائق دعوته ، وحبه البين لأثمار العقول ، حبّاً يُكسب تلك الثقافة التى وصف ، وكلما أحرزنا حظاً منها تكشّفت لنا الأهداف القومية والمثل العليا التى لم يتورط فى تعريفها الآن ، لحكمة لم يرد بعض النقاد أن يدركها

أضف إلى ذلك فضل أخلاقه الكريمة من عفة لسانه فى صراحته ، ومن نزاهته عن التعصب والتحزب ، وصدقه وإخلاصه فى الدعوة للوعى القومى ، وكرامته وتواضعه تواضعاً يهبه العلم والأدب والتربية

استقصى واستوعب ، وشخّص الداء ووصف الدواء ، شارحاً دعوته فى إيجاز نير ، حتى يرى مَن لا يرى ، ويعلم مَن لم يعلم ، ويفهم من لم يفهم ، ويعمل من لا يعمل على مصلحة قومه « فى الوعى القومى » آية للزمان ومدعاة إلى الاطمئنان على مستقبل نتمناه ، سواء أكان بعيداً كل البعد أم قريباً كل القرب

من أجل ذلك كله قد لا أكون مبالغاً إذا أنا زعمت أن هذا الصنيع الأساسى النفيس ، المبتكر بوحدته وبميزاته وصراحته وظهوره فى الشرق العربى فى إبان الحاجة إليه ، هو أجل كتاب بين الكتب العربية التى وضعت منذ أطفأ الدهر نور هذا الشرق

***

أما الأستاذ الكبير ، ساطع بك الحصرى ، فقد أبدع كذلك فى « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » إذ جاءت مصداقاً لتقريره « أن الطرافة فى الدراسات لا تتأتى من جدة الموضوع وحده ، بل قد تتولد من طرافة الطريقة والاتجاه أيضاً » ، فإنه خدم قومه باتجاهه العلمى ، وعرف الأصول التى اهتدى بنورها فى دراسة المقدمة ، وكان البادىء فى العربية بدراستها على الطريقة العلمية فيما أعلم

ذكر ، مثلاً ، أن كل عالم ومفكر يشاطر بوجه عام معاصريه أكثر أخطائهم ، ولذا فإن منزلته « لا تتعين بملاحظة جميع الآراء الصائبة والخاطئة المنبثة فى كتاباته ومؤلفاته المختلفة ، بل تتقرر بملاحظة الآراء المبتكرة التى يسمو بها على معاصريه ، والحقائق الجديدة التى يضيفها إلى المكتسبات الفكرية البشرية ، والخدمات التى يقوم بها بهذه الصورة فى سبيل تقدم الأفكار والعلوم » ؛ وعرّف طرائق النقد الداخلى والنقد الخارجى والنقد التفسيرى ؛ ولاحظ أن مباحث المقدمة قسمان : « المباحث الأساسية ... تحوم حول علم العمران وأسس التاريخ مباشرة » ، و « المباحث الاستطرادية التى تأتى تمهيداً للأبحاث الأصلية أو إتماماً لها » ؛ وأن عمل ابن خلدون فى هذه « لا يتعدى حدود النقل والجمع ، والعرض والتلخيص ، والترجيح والتصحيح ؛

شعـــر ناجي

للأستاذ در ي خشبة

لا يلبث الإنسان حين يقرأ ر ناجي أن يستمع إلى نبضات قلب كبير ، ولا يلبث حين يفتح ديوانه أن يرى حوله جنات معروشات كلهن ألوان وكلهن ر ر وكلهن حياة ، وفيهن جمال وفيهن حب وفيهن دعة ؛ وبين لك جميعاً قلب ناجي الفنان ينبض ويُلوّن ويبتسم ، ويُنبت ، فردوسه الأعاجيب

وقلب ناجي هو باب شعره ذب ، بل هو معينه الذى لا ينضب . . . وقليل من الشعر من يودعون شعرهم قلوبهم ، وقليل منهم من تحس أن لهم قلو تقول هذا الشعر المنمق الذى ينظمون أو تدين به . . . لأنهم ينف ون الشعر صنعةً ولا يهزجون به طبيعة ، والشعر إن لم يكن الدم فلن يكون فى الألسن إلا كما يكون الصفير فى فم الببغاء

وقلب ناجي قلب وادع نب فى الحب ، وفاض بالرحمة ، ومَسّه الألم ، وانطبعت فى صفحته الحياة بصورها المختلفة . فالحب والرحمة والألم تفيض صوراً حية فى شعر ناجي ، والعجيب أنه أكثر شعرائنا ترديداً لقلبه فى شعره ، حتى ليوشك أن يذكره فى كل قصائده ، ولعله لا يعلم ذلك ، بل لعله لم يعرفه إلا الآن ، لأنه لا يتعمد شيئاً فى شعره ، إذ كل هذا الشعر أو أكثره غناء ردده ذلك القلب ، وهتف به ذاك اللسان ، ودوّنه هذا القلم . وأعجب من ذلك كله أن الصداقة بين ناجي وبين قلبه قد أنتجت لنا تلك الصور الخالدة فى وصف هذا القلب الوادع . فحب ناجي :

يشهد الليـل عليـه والنهارْ   والشهيد المتوارى فى الضلوعْ

وناجي :

يشرب من روعة السماء   شعراً ويسـقى الفؤاد وحياً

ويقول مناجياً :

وحرقت قلبي من سـنا   ك على جمـال يضطرمْ
كفراشة حامت عليـ   ـك وأى قلب لم يحُمْ !

ويذكر قلبه وهو يصف مغرب الشمس عند شاطىء البحر فيقول:

أما تلك فتظهر فيها قدرته الابتكار ة وعبقريته الحقيقية »

وضع الأستاذ « أبو خلدون دراساته على أصول الطريقة التى ذكر أسسها فى شرح نظراته ى آراء ابن خلدون ونظرياته . فنبه ، مثلاً ، إلى أن صاحب المقدمة استعمل كلمة العصبية « لغير معناها فى المعاجم والاستعمالات الحالية » ؛ واستعمل كلمة العرب « بمعنى البدو والأعراب » ، فأدى ذلك إلى « أخطاء عظيمة » فى فهم مقاصده ، وأظهره « بمظهر المتحامل على العرب ، وحمل بعض الشعوبيين على الاستشهاد به ، كما دفع بعض القوميين إلى الهجوم عليه »

وكشف الأستاذ الفضال خطأ الذين « ظنوا أن ابن خلدون يعزو أهمية كبيرة إلى البيئة الجغرافية ، كما زعموا أنه يعتبر الدين أهم عوامل الاجتماع » ؛ وأيد بالبحث والموازنة أن ابن خلدون أحق من الغربيين « باسم مؤسس فلسفة التاريخ أو علم التاريخ » و « بلقب مؤسس علم الاجتماع » ؛ وأظهر مكانة هذا العالم العربى فى نظر علماء الغرب

جمع المؤلف النحر ر أشتات كل رأى لابن خلدون من أبواب المقدمة وفصولها بعد أن نظر فى الفصول المنسية فى الطبعات المصرية والبيروتية المقدمة ، وهى موجودة فى الترجمتين التركية والفرنسية المطبوعة فى باريس ؛ وقابل هذه الآراء والمبتكر منها بما سبقها وبما جاء بعدها من آراء تتعلق بفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وعيّن ابتكارات ابن خلدون وبيّن « كنه نظريته فى العصبية ، وآراءه الأساسية فى الحياة الاجتماعية البدوية والحضرية » ؛ فجاءت نظرته فى المقدمة نظرة ناقد مثقف بصير

ألا إن فضل ساطع بك الحصرى هو ، على الخصوص ، فى الطريقة العلمية التى اتبعها فى دراساته ، وفى اتجاهه وأسلوبه الفنى فى الإحياء الثقافى ، وفى قدرته على القيام بهذا العمل الدقيق النافع الذى توخاه ، وصنيعه النفيس دليل على تقديره وإجلاله لتراثنا العربى العظيم ، وعلى تحقيقه النظر فيه واجتهاده فى تفهيمنا إياه ونحن فى حاجة ماسة ، ليست تنتهى فى زمن قريب المدى ، إلى مثل هذا النوع من الكتابة والتأليف . وذلك وجه من أوجه الإحياء الذى يدعو إليه « الوعى القومى » لإيقاظنا من سباتنا العميق .

محمد توحيد السلحدار

تقول : هل الشمس قد خضّبته   وخلت به دمها المهْرَقا
أم الغرب كالقلب ، دامى الجراح   له طلبة عز أن تُلحقا
لنا الله من صورة فى الضمير   يراها الفتى كلما أطرقا
يرى صورة الجرح طىّ الفؤا   د ما زال ملتهباً محرقاً !

ويخاطب حبيبه ساعة الغروب فيقول :

قد جعلت النسيم زاداً لروحى   وشربت الظلال والأضواء
مَرّ بى عطرها فأسكر نفسى   وسرى فى جوانحى كيف شاء
نشوة لم تطل ، صحا القلب منها   مثل ما كان أو أشد عناء !

ويناجى حبيبه الهاجر قائلاً :

أيُحرَم حتى وهم حبك من رمى   بمهجته فى ناره دون إحجام
وأنفق فيه قلبه وشبابه   فلم يبق إلا الجرح والشفق الدامي

ومن عجب أحنو على السهم غائراً
ويسألني قلبي : متى يرجع الرامى ؟

وأسرى بوهمه ينشد الآمال فلم يصحب إلا قلبه ، فهو يقول :

انفردنا ، أنا والقلب عشيًّا   ننسج الآمال والنجوى سويًّا
فركبنا الوهم ، نبنى دارها   وطوينا الدهر والعالم طيًّا
فبلغناها ، وهلّلنا لها   ونزلنا الخلد فينانًا نديًّا
ولقينا الحسن غضًّا والصبا   وتملّينا الجلال الأبديا

***

قال لى القلب : أحقاً مابلغنا ؟   كيف نام القدر الساهر عنا ؟
أتراها خدعة حاقت بنا ؟   أتراها ظنّة مما ظننّا ؟
قلت لاتجزع فكم من منزل   عَزّ حتى صار فوق المتمنى
أذن الله به بعد النوى   فثوينا ، واسترحنا ، وأمنا !

وينتظر حبيبه مرة فى ظلام وريح وبرد فيصف هذا ويشرك فى الوصف قلبه قائلاً :

ولما لم تفز بلقاك عينى   لمحتك آتياً بضمير قلبى
فأسمع وقع أقدام دوانٍ   وأنصت مصغياً لحفيف ثوب
وأخلق مثلما أهوى خيالاً   وأستدنى الأمانى والحبيبا
وأبدع مثلما أهوى حديثاً   لناء صار من قلبى قريبا
أمد يدىّ فى لهف إليه   أشاكيه بمحتبس الدموع

فيسبقنى إلى لقياه قلبى   وثوباً ... ثم يبرد فى ضلوعى ...

ويزكيه حبه ويطهره ، ويدنيه من منازل الملائكة :

سموت كأنما أمضى   إلى رب يُناديني
فلا قلبي من الأرض   ولا جسدى من الطين !

ويقول وقد نعم بلقاء :

نحن أرواح حيارى افترقت   ثم عادت فتلاقت فى شجاها
سوف ينسى القلب إلا ساعة   من رضاك وركك الحانى قضاها
هتف القلب وقد حدثنى   أى ماض كشفت لى شفتاها
همست فى خاطرى فاستيقظت   روحىَ الحيرى وأصغت لنداها
فأنا إن لم أكن توأمها   فكأنى كنت فى الغيب أخاها
نحن أرواح حيارى ثملت   وانتشت سكرى على لحن أساها

ويقول معاتباً على طول الهجر :

لقد أسرفتِ فيه وجُرْتِ حتى   على الرمق الذى أبقيتِ فينا
كأن قلوبنا خلقت لأمرٍ   فمذ أبصرن من نهوى نسينا
شُغلن عن الحياة ونحن عنها   وبتن بمن نحب موكلينا (!)
فإن ملئت عروق من دماء   فإنا قد ملأناها حنينا

وتؤلمه الوحدة فيقول :

تلفت القلب مطعوناً لوحدته   وأين وحدته ؟ باتت كما بانا
حتى إذا لم يجد ريّا ولا شبعا   أفضى إلى الأمل المطوب فاقتاتا

ومن شعره وهو يافع :

عجباً لقلب هيض منك جناحُه   وجرى به نصل الندامة بذبح
ومضى الحِمام يدب فيه ، فإن جرت
ذكراك طار إليك وهو مُجنّح
لهفى على الناقوس بين جوانحى   وعلى بقية هيكل لا تصلح !

وهكذا نسرف هذا الإسراف فى عرض تلك النماذج العالية من أشعار ناجى فى القلب عامدين ... لأننا مهما قصدنا فى إطراء هذا القلب النابض الذى أبدع لنا ذلك الشعر دون أن نعرض تلك النماذج القليلة ، فربما ظن ظان أننا نغلو فيما نذهب إليه من أحكام ...

والعظيم فى هذا الشعر أن أكثره مما سبق إليه ناجى

وابتدعه ابتداعاً ... فالشهيد المتوارى فى الضلوع ، والقلب الذى يحرقه الشاعر من سنا حبيبه على جماله المضطرم ، فهو كالفراشة تحوم حول هـذا الحبيب ؛ وهذه الشمس الغاربة فى اليم بين السحب شبه الجرح فى القلب الوامق ؛ ثم هذا البيت الفريد :

ومن عجب أحنو على السهم غائراً ... ويسألنى قلبى متى يرجع الرامى !

هو ما يعدل ألف بيت من جيد الشعر عنـد من يقدرون الشعر ؛ ثم هذا المحب الذى ينتظر حبيبه فيلمحه آتياً بضمير قلبه ؛ ثم هذه الأحاديث التى يتحدثها القلب ، ثم هذا القلب الذى يسبق صاحبه للقاء الحبيب :

أمد يدىّ فى لهف إليــه ... أشاكيه بمحتبس الدموع

فيسبقنى إلى لقياه قلبــى ... وثوباً ... ثم يبرد فى ضلوعى !

ثم هـذا القلب الذى يطهره الحب حتى لا يكون من هذه الأرض ؛ وامتلاء العروق بالحنين بدل الدماء التى تتدفق من القلب ؛ واقتيات القلب بالأمل المطعون وقد خاب رجاؤه ... ثم هذا الفؤاد الذى هيض جناحه ومضى الحِمام يدب فيه حتى إذا جرت ذكرى الحبيب طار إليه بجناحين قويين فتيين !

كل هذا وذاك من ثروة الشعر التى ينطوى عليها قلب ناجى والتى يجود بها سهلة هيّنة ليّنة فى غير تـكلف ولا تعقيد

وللدم من حب ناجى ومن خياله وشعره نصيب عظيم . ألم تقل إن الشعر إن لم يكن فى دم الشاعر فلن يكون فى لسانه إلا كما يكون الصفير فى فم الببغاء ؟

إسمع إليه يقول وقد صافح حبيباً :

أهاب بنـــا قلبّينا ... منـــاد ضمّ روحينــا

كأنا إذ تصافحنــا ... تعانقنـــا بكفيّنــا

كأن الحب تيـــــار ... سرى ما بين جسمينا

يؤجج فى نواظرنا ... ويشعل فى دمائنا !

ويخاطب القمر فيقول :

قمر الأمانى يا قمـــرْ ... إنى بهـــمٍّ مُسْتَقِمْ

أنت الشفاء المدّخرْ ... فاسكب ضياءك فى دمى !

ويخاطب الجمال الضنين :

كأنك النسّم النشوان منطلقاً ... أظل كالنفس الحيران أتبعه

تمال وادنُ بيوم لا نحس به ... أجسادنا ، فى صفاء لا نضيّعه

لـكن أحِسُّك تجرى فى صميم دمى ... أنت الحياة ، وأنت الـكون أجمعه !

ويسائل حبيبه متى يلتقى ؟

متى يرقّ الحظ يا قاسى ؟ ... ويلتقى المنسىُّ والنـاسى ؟

متى ! وهل من حيلة فى متى ؟ ... رقى خيـالات وأحداس

هدّ قرارى جريهـا فى دمى ... وهمسها فى كر أنفـاسى !

وهكذا يتدفق شعر ناجى من قلبه فى دمه ، وهكذا تروى به روحه وحواسه ، فيكون فيها حباً ورحمة وألماً ، وسترى كيف ينطبع هذا الشعر الجميل الوادع فى قلب ناجى صوراً تشمل الحياة كلها ...

(يتبع) درينى خشبة

٣ – القرآن الكريم
في كتاب النثر الفني

إنكاره إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

الإعجاز إعجازان، إعجاز معنى وإعجاز أسلوب. والإجماع منعقد عليهما كليهما في القرآن، لكنه إذا أطلق لا ينفك عن إعجاز الأسلوب، لأن الأدب أسلوب قبل أن يكون معنى، إذ المعنى للعقل والقلب، فهو مشترك أو يمكن أن يكون مشتركاً بين اللغات. أما الأسلوب فخاص غير عام، لكل لغة أساليبها، بل لكل أديب أسلوبه. فمن ينكر الأسلوب فقد أنكر الأدب في الواقع

وموقف الدكتور زكي مبارك من قيمة الأسلوب موقف عجب. فهو يجعل الأسلوب فصلاً بين لغة ولغة، ولكنه لا يجعله فصلاً بين أديب وأديب أو بين بليغ وبليغ. فالفصاحة والبلاغة عنده للمعنى، لا للفظ ولا للأسلوب. اقرأ له إن شئت في صفحة ٦٨ من الجزء الثاني قوله: « ونحن نرى أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع إلى ما في المعنى من قوة وروح ». وبعد أن أورد القطعة المعروفة التي أولها: لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة. عقب عليها بقوله « وهذه القطعة من بدائع الشعر العربي. وهي قطعة خالدة ستظل قوية بارعة ما بقي في العالم ناس يفهمون سر العربية. ومع هذا لا تستطيع أن تجد فيها ألفاظاً يعز على غير قائلها الوصول إليها، أو أسلوباً في التعبير يتميز عن غيره من الأساليب. وجمالها كله يرجع إلى دقة المعنى وطرافته وتخير الألفاظ تخيراً يجعلها تتمثل مع المعنى كتلة واحدة »

ثم اقرأ له بعد ذلك « وقد تجد من الشعر ما تخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ولكن قوة الروح تصل به إلى أسمى غايات الإبداع. ومثال ذلك قول حطان بن المعلى يشكو فقره وما وضع القدر في رجليه من قيود الأهل والذرية :

أنزلني الدهر على حكمه من شامخ عال إلى خفض

وبعد أن استوفى القطعة المعروفة قال: « وقوة هذا الشعر ترجع إلى الشاعر لا إلى اللفظ ولا إلى الأسلوب ». وهو في تفريقه هذا بين الشاعر وأسلوبه كمن يفرق بين المرء ووجهه أو بين الوجه وقسماته، فالأسلوب هو الشاعر والكاتب، والشاعر والكاتب هو الأسلوب. أو بعبارة أدق، الأسلوب هو مظهر الأديب ومعبره سواء عبر عن كل ما في نفسه أو عن بعضه، فهو كل ما يعرفه الناس من الشاعر أو الكاتب، ولعل التفاوت في الأدب هو بقدر التفاوت في تعبير الأسلوب عن صاحبه، فأقدر الأدباء هو أكثرهم تمثلاً في أسلوبه. لكننا نترك هذه المسألة للمشتغلين بالأدب يتنازعونها بينهم، يوافقون الدكتور أو يخالفونه، لكن الذي يهم فيما نحن بسبيله هو إنكار الدكتور في الظاهر كل قيمة للأسلوب، واضطراره في النهاية إلى الإقرار له بكل قيمة حين جعله هو والمعنى كتلة واحدة كما رأيت في تعليقه على القطعة الأولى، وكما ترى له فيما يأتي :

« ولا جدال في أن الألفاظ والأساليب تتلون وتتشكل بلون الفكرة التي تسيطر عليها. وعلى هذا الأساس وجد الأسلوب الجزل والأسلوب الرقيق. فالرقة والجزالة من مقتضيات المعاني لا الألفاظ. فالمعنى الجزل له لفظ جزل، والمعنى الرقيق له لفظ رقيق. فإذا غلبت الرقة على شاعر مثل البهاء زهير فرجعها إلى الفكرة لأنه شاعر وديع يعبر عن معان وديعة يلهم أمثالها أصحاب الوداعة والرقة من الشعراء المترفين. وإذا غلبت الجزالة على شاعر مثل المتنبي فرجعها أيضاً إلى الفكرة لأنه شاعر طامع في أسمى ما يطمح إليه فحول الرجال ... » ص ٧١ وهو في هذه القطعة يجعل المسألة مسألة ألفاظ ولا يجعل للتركيب شيئاً، ثم يجعل اللفظ هو والمعنى شيئاً واحداً، كأن المعنى إذا قام بالذهن، والشعور إذا قام بالنفس، جاء اللفظ طائعاً، جزلاً أو رقيقاً حسب المعنى أو الشعور. وهو لا يلتفت إلى ما يستلزمه هذا الرأي من وجوب اتحاد الأساليب باتحاد المعاني عند الأدباء، مما هو باطل بالبداهة، بل يزداد إغراقاً وإغراباً إذ يقول: « ثم نقرر أن الألفاظ ملك للجميع يجذبونها حيث أرادوا في المعاجم والدواوين ! (والتعجب من عندنا) ولا يبقى موضعاً

للجهد والعنت أو العبقرية إلا المعاني والأغراض

... إن الألفاظ في مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب ، ولكن المعجز حقاً هو الفكرة . وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزناً للصناعة الفنية . ولكن معناه أننا نقرر أن الفكرة تجيء أولاً ويجيء الورق ثانياً كما يقول الفرنسيون » . وهو يريد بالورق فيما يبدو الألفاظ والأسلوب الذي سيبدو على الورق ، فإذا كان ذلك كذلك فقد رجع بعد طول الحوار والخلاف إلى ما عليه جمهرة الأدباء من أن المعنى أهم من الصناعة الفنية ولكن الصناعة الفنية لها قيمتها ووزنها . والأمر إليك الآن في أن تجد إسماً لهذه الظاهرة في كلام صاحب النثر الفني : سمها تناقضاً ، أو سمها اضطراباً وتبلبلاً ، أو سمها رجوعاً عن مذهب ظن أنه ابتكره إلى مذهب الناس ، وإن شئت فسمها رجوعاً إلى الحق إن كنت ممن يحسنون به الظن

ولكن — وهذا هو لب الموضوع وروحه — هل تظنه حكم للقرآن بشيء من ناحية الأسلوب ؟ سأترك صاحب النثر الفني يعبر عن نفسه بقدر الإمكان . قال متمماً لكلامه السابق :

« وقد رأى ناس قول الباقلاني (ليس القرآن من جنس كلام العرب) فقرروا خاطئين أن القرآن يخالف ما درجت عليه البلاغة العربية من حيث الأسلوب . ولو سألتهم عن تحديد معنى الأسلوب لعجزوا عجزاً مبيناً ، لأن الأسلوب في رأينا هو الصورة الظاهرة لعقل الكاتب وروحه وفكرته ومرماه » — ولا يخطر لصاحب هذا الكلام أنه قد هدم كل ما قاله من قبل ، وجعل الأسلوب هو كل شيء ما دام هو الصورة الظاهرة للعقل والروح والفكرة والغرض ، وهذه عنده هي كل شيء ، فلعله يحكم للأسلوب القرآني بشيء — « وليس في مقدور أحد من المتفوقين في علوم البلاغة أن يحدد الأسلوب تحديداً منطقياً يجمع خصائصه ويمنع ما يتطرق إليه من غريب الأوصاف ، أو أن يدلنا على خواص أسلوب القرآن دلالة واضحة بريئة من عوارض اللبس والغموض ، فإن ألفاظ القرآن كألفاظ كل كلام عربي مبين لا تمتاز باللفظ ولا بالأداء وإنما تمتاز بالمعنى والغرض والروح » !

أترى صاحب هذا الكلام يعقل ما يقول ؟ إنه يطالب غيره بتحديد الأسلوب تحديداً منطقياً . ألا يتعلم أولاً من المنطق كيف يكون التفكير ؟ ألفاظ القرآن لا تمتاز باللفظ ! طيب ! ولا بالأداء ! طيب أيضاً ! فهذا هو مذهب الدكتور . وإنما تمتاز بالمعنى والغرض والروح ! ألم يقل هـذا الرجل قبل ذلك بأسطر إن الأسلوب في رأيه هو الصورة الظاهرة لعقل الكاتب وروحه وفكرته ومرماه ؟ أليس معنى ذلك أن الأسلوب يمتاز بامتياز ما يمثله من روح وفكرة ومرمى ؟ فكيف استقام عنده أن يمتاز القرآن بالمعنى والغرض والروح ولا يمتاز باللفظ ولا بالأداء ؟ ألم يقرر من قبل أن المعنى الجزل له لفظ جزل ، والمعنى الرقيق له لفظ رقيق ، وأن الألفاظ والأساليب تتلون وتتشكل بلون الفكرة التي تسيطر عليها ؟ فكيف جاز في تفكيره أن يكون للمعنى القرآني امتياز لا يكون مثله للفظ القرآني والأسلوب ؟ إن هذا الرجل لا يدري أنه بقوله هذا يجمع على نفسه إنكار إعجاز المعنى إلى إنكار إعجاز الأسلوب !

والعجيب من أمره أنه يمضي على وجهه بضرب الأمثال لرأيه ذلك من القرآن إذ يقول : « فإن أراد أحد شاهداً على ما نقول فإنا نفتح المصحف عرضاً بدون تخير ، ثم ننقل آيات لنسأله أن يعين ما جاء فيه غريباً عن الأساليب العربية . ولنختر خمس آيات من مطلع سورة الأنبياء : (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون . ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدَث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهيةً قلوبهم ، وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) »

ومن قبـل أن يستتم المعنى بالآية السادسة على الأقل (ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها ، أفَهُم يؤمنون) جعل يسأل القارىء « فأين تكون غرابة الأسلوب في هذه الآيات الخمس ؟ وأين يكون السياق الفني الغريب عن الأعراب ؟ أليس مرجع الروعة في هذه الآيات إلى المعنى والروح ؟ أترونها تمتاز بالسجع ؟ وكيف والسجع كان معروفاً قبل القرآن ؟ أترون ألفاظها متخيرة منتقاة ؟ هو ذلك ، ولكن كيف يدور اختيار

الألفاظ ؟ أترون لاختيار الألفاظ مداراً غير موجبات المعاني والأغراض ؟ » أسئلة يرسلها على القارىء كأن القارىء حكم في الموضوع ، وليس كل قارىء يستطيع الحكم فيه . ومع ذلك فإن صاحب النثر الفني قد دل بتلك الأسئلة على أنه ليس من الأدب ولا من صحة التفكير في شيء ، وإلا فأين في اللغة العربية كلها يجد خارج القرآن أسلوباً كأسلوب تلك الآيات الخمس ؟ ليدل قراء العربية عليه إن كان يستطيع . وأمامه الآيات قد عرف معناها — إن كان قد عرفه — فليعبر عن المعنى ، وليحتفل ، ولينظر أين يصل به الجهد . بل ليختر آية منها ، أيها شاء ، وليقصر محاولته عليها ولو بتغيير لفظ ، أو تغيير حرف ، أو تغيير ترتيب ، ثم لينظر هل يمكن أن يأتي بشيء يقبله منه أهل العربية أنه عدل الآية ، أو قريب منها ، أو يمكن أن يوضع وإياها في ميزان . إنه التحدي القديم أطرحه في أبسط صورة عليه الآن من جديد

ويزعم زكي مبارك أن السياق الفني في تلك الآيات ليس غريباً عن الأعراب . فمن أين له ذلك وهو يقول أن : « ما نقله الرواة من النصوص لا يكفي لتمييز أساليب النثر في العصر الجاهلي . وهو على قلته مما وضع في العصر الأموي وصدر العصر العباسي لأغراض دينية وسياسية »[1] ؛ فمن أين له تمييز أسلوب الحواضر فضلا عن أسلوب البوادي حتى استطاع الحكم ؟

ويقول الدكتور زكي مبارك إن السجع كان معروفاً قبل القرآن ، جواباً على ما افترض على لسان القارىء من امتياز الآيات بالسجع ، كأنه يظن أن مجرد وجود السجع هو الامتياز . فإن كان هـذا هو المراد فقد أنطق القارىء بجواب غير معقول ليأتي عليه برد معقول ! أم هو يرى أن ما سماه في الآيات سجعاً هو سجع من السجع لا فضل له على ما سواه . هذا هو لازم رده على ما أنطق به القارىء من جواب ، إن كان يرى أنه أحسن الرد . وإذن يكون رده ذلك دليلا على تسويته في التقدير بين سجع القرآن وسجع غير القرآن

ثم يمضي الدكتور زكي مبارك في استشهاداته يقول :

(١) الجزء الأول صفحة ٣٥

« فإن كانت هذه الآيات الخمس لا تكفي فإلى القارىء شواهد أخرى من القرآن المجيد . يقول الله عز شأنه (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) وأنا أشهد صادقاً أني ما فكرت في هذه الآية إلا دهشت من سمو هذا النصح النبيل . فأين يكون جمال هذه الآية ؟ أترونها من جنس غير جنس كلام العرب كما زعم الباقلاني ؟ هيهات ! إن ألفاظها تشبه جميع الألفاظ وتركيبها لا يتميز بشيء عن غيره من التراكيب » . ثم يستكمل الاستشهاد بقوله : « على أنه من الخير أن نسوق الآية كاملة لنتبين كيف يمكن أن تكون بعض أجزاء الآية الواحدة أقوى من بعض : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » . ألا ترون إن أنصفتم أن كلمة « اعدلوا هو أقرب للتقوى » تقل في قوتها عن كلمة « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » . فما هو سبب التفاوت ؟ لا يظن أحد أن مرجع التفاوت هو الأسلوب ؛ فإن القرآن تفرد في رأي مخالفينا بوحدة الأداء والتعبير . فلم يبق من فرق بين صدر الآية وعجزها غير تفاوت المعنى . والتفاوت هنا جاء من أن صدر الآية معنى بكر لا يجرى إلا على ألسنة الحكماء والأنبياء ، على حين نرى عجز الآية يؤدي معنى مفهوماً لدى جميع الناس » !

فهل ترى هذا الرجل يفهم قوله تعالى « اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » ؟ لو كان يفهمه ما قال أنه مفهوم لدى جميع الناس . وأي ناس يا ترى ؟ الناس الآن الذين ألفوا القرآن ، أم الناس في الجاهلية ، أم الناس في صدر الإسلام ؟ وبأي ميزان يا ترى تبين له التفاوت بين جزءي الآية ؟ إنه لا يفهمهما رغم تحمسه لأولها ، وإلا ما افترض أن الإنصاف يقضي بالاعتراف بأن ثاني الجزءين دون الأول ؛ بهتاناً يلقيه بغير دليل . إنه يرى الكلام جزافاً ، وإلا ما قال إن المعنى الأول بكر لا يجرى إلا على ألسنة الحكماء والأنبياء والثاني غير بكر ، مع أنه هو الذي لا يمكن أن يجرى إلا بوحي على ألسنة الأنبياء

ثم إن الرجل يكذب حين يزعم لك أنه أورد الآية كاملة . فهو لم يورد إلا نحو ثلث الآية ، على جلال ما أورد . فالآية هي من سورة المائدة : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ،

هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون »

بقي شاهد من عدة شواهد لا يتسع لها المقال : « ثم لننظر قوله جل ثناؤه : « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين » هذه من غرر الآيات القرآنية فأين يقع منها الحسن ؟ أترونه في اللفظ ؟ أترونه في الأسلوب ؟ وكيف وهي ألفاظ يجدها من يريد ، في أسلوب واضح يدركه جميع المخاطبين ويستطيعه جميع الكاتبين ؟ إن الجمال هنا في الروح العالي ، حيث يخاطب الله الآثمين وقد ألقى بهم في نار الجحيم » . ولو كانوا في نار الجحيم لجاز أن يشغلهم العذاب عن سماع الخطاب ، ولكنهم في موقف الحساب قبل أن يحكم عليهم بالنار ، وشتان بين وقتي الكلام في المقامين . ولكن صاحب النثر الفني لا يدرك من دقيق الإعجاز ولا جليله شيئاً ، لا في المعنى ولا في الأسلوب ، ولا في مقتضى الحال . فسيان منه الإنكار والإقرار . فإقراره — لو أقر — إقرار مخطئ ، وإنكاره إنكار مغرور

محمد أحمد الغمراوي

دجلة في الليل

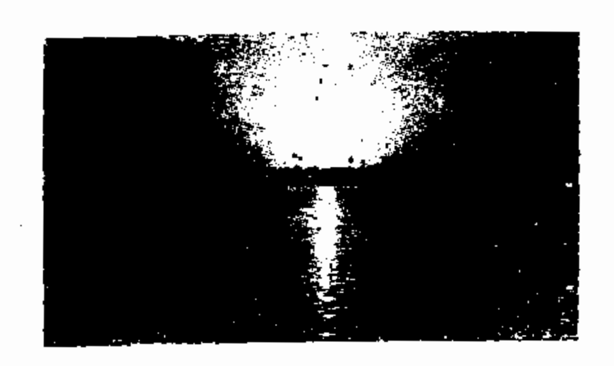
« تهدى إلى أخي الأستاذ علي الطنطاوي
شقيق القلب والروح ، والرفيق في الغربة والسفر »

للأستاذ أنور العطار

الليل في بغداد لا ينام
مهران تصبي روحه الأنغام
ويستبيه الوجد والهيام
واللهو والإيناس والمدام
والشعر والأوهام والأحلام

أنور العطار

أسكب النور يا قمر ... واغمر النهر بالصور
وأذع فرحة الهوى ... وأشع لذة السمر
واترك القلب حالماً ... ناسياً روعة الغير
يجمع النفس كلها ... من تشهيه في النظر
ها هنا الليل شاعر ... ملهم خير الفكر
مستطار إذا انتشى ... مستثار إذا اذكر
ملء أبياته السنا ... ملء أعطافه الدرر
في وشاح منمنم ... ساحر فتنة البصر



دجلة في ضوء القمر

والنسيم الذي يطو ... ف بشعر لمن شعر
ونشيد مسلسل ... في العشيات والبكر
ما أحيلاه ساجياً ... ما أحيلاه إن فتر
طاف بالأعين الرقاد ... وما شفني السهر
يتصباني النخيل ... ويغريني النهر
في ثناياه صورة ... حلوة كلها سير
بأبي أنت مورداً ... ليس في ورده كدر
يتشهاك خاطري ... وتحلي بك الذكر
إن تثنيت فالندى ... أو تأودت فالطرر
أو تسلسلت صافياً ... فأخو الدل والخفر
مر بي طيفك الحبيب ... وكم طائف سحر
في أساريره فتون ... وفي طرفه حور
المنى طوع أمره ... ما تمنى وما أمر
والشذا منه عابق ... فاغم العطر منتشر
فعلى الشمس عرشه ... وعلى هامها استقر
هو ريحانة العلى ... فيه من عبقر أثر

* * *

عدت للغابر البعيد ... أناجي الذي غبر
أتأسى بما انطوى ... أتعزى بما استتر
ها هنا تخشع القلوب ... وتصبو وتنفطر
ها هنا سيرة الزمان ... وعاها الذي ذكر
ها هنا الكون سابح ... في خضم من العبر
أنت لي الحب والمنى ... أنت لي القصد والوطر
ليس لي عنك مبتغى ... ليس لي عنك مصطبر
أتناسي بك الأسى ... غمر النفس ما غمر

وَآخَيْنِى إلى الضفافِ ... تزاحمن بالشجر
وتسابقن بالرُّؤَى ... وتساجلن بالصور
وتلامسن بالهوى ... وتهامسن بالسير
ورويْنَ الذى انقضى ... وأذعن الذى استتر
أنتَ يا نهرُ عاشقٌ ... منْ صباباتك القمر
مرَّ بالماء صورةً ... فتنت كلَّ مَنْ نظر
وينابيعَ حُفَّلاً ... باللآلى وبالدُّرَر
والنجومُ التى ترفُّ ... إطارٌ منَ الزَّهر
وربيعٌ منَ المنى ... ورياضٌ من الثمر
يتموَّجن كاللظى ... يتراقصن كالشرر
فيكَ ما يملأُ النُّهى ... فيك ما يبهرُ البشر
آيةٌ أنتَ للعُلى ... رايةٌ أنتَ للظفَر
يتغنَّى بكَ الزمانُ ... ويزهى بكَ العُصُر
ويباهى بكَ الجلا ... لُ ويَنْدَى ويزدهر
رُبَّ ماضٍ بمتعةٍ ... مثلما يُجمَع النَّشَرْ
رفَّ كالحلم خاطفاً ... وتوارى وما انتظرْ
لمْ ينلْ منكَ غابرٌ ... لمْ يعبْ حسنكَ القِصَرْ
أنت كالحبِّ ساربٌ ... أنتَ كالعُمْر مختصرْ
أنتَ كونٌ من الشمو ... س سنا ضوئها بهرْ

***

بيتُ أستلهمُ الرُّؤَى ... بيتُ أستقرىء الذِّكَرْ
والهوى طائف يجد ... وكم يركب الغررْ
لا يخاف الرَّدى الرهيب ... ولا يعرفُ الحذرْ
صرنَ الخوضَ والدُّجى ... ألِفَ الشدوَ والسَّحَرْ
ليسَ تثنيه غمرةٌ ... طالَ ذا العُمْرُ أو قصُرْ
هو تِرْبُ المدى الخفيّ ... أخو الدَّهر والقدرْ
طاف بالنابر القصِيّ ... لياليه والنهُرْ
فى تضاعيفه النَّعيمُ ... وفى طيِّه سقَرْ
يا له من متيَّم ... يعشق النأى والسفر

***

أيها الهاجر الذى ... عذَّب القلب مذ نفَرْ
أنتَ وحىٌ أحبُّه ... وردَ الفكرَ أو صدَرْ
كلُّ ذنبٍ جنيته ... هو فى الحب مغتفَر
لا تكلنى إلى الأسى ... لا تكلنى إلى الضجر
حسب روحى الذى مضى ... حسب قلبى الذى عبر
قمْ نُعِدْ سكرةَ الهوى ... فالهوى كله سكَرْ
ونحوِّمْ على الخلودِ ... ودَارَاته الأُخَرْ
فهنا الكون عابق ... أرِجٌ زهره عطِرْ
سامح الحب إن هفا ... واعف عنه إذا هجرْ
المنى طوع من رعى ... والهوى حظ من صبر
والهوى سلوة النفوس ... وأُحبوحةُ العُمُرْ
كل من ذاقه استعا ... د صباه الذى غبرْ
وتروَّى من الحياة ... ومن روضها النضر
لذة العيش فى الصبا ... راحة البال فى الصغر
كل أحلامه سنًا ... كلُّ أطيافه غُرَرْ
وأراجيحُ طُفَّحٌ ... بالأعاجيب والأُكَرْ
وأساطير عكَّفٌ ... يتمرغن بالسُّررْ
نذر القلب أن يحنَّ ... ويا صدق ما نذرْ
بمثَ الشعر سلسلاً ... كالينابيع تنفجر
أو كما يحفلُ الغمامُ ... وينهلُّ بالمطرْ
فإذا اهتاجَ فالحسامُ ... وإن حنَّ فالوترْ
فاصدحى يا خواطرى ... واغنمى الأُنسَ إن حضرْ
وسلى «دجلة» الرِّضا ... عن محبٍّ بها فكَرْ
خبِّرى أنتِ فى الدُّنا ... أينها تصدق الخبرْ
وهواىَ الذى طغا ... والهوى طامحٌ أشِرْ
قد تفرَّدت بالجمال ... وبالمجد والخطرْ
حبذا منكِ رشفةٌ ... كلُّ من عبَّها سكِرْ
خطرتْ فامحى الأسى ... وبدتْ فانجلى الكدرْ
ومشى الحبُّ بى إلى ... عالمٍ كله سمَرْ
جُنَّ شوق إلى الحمى ... فهمى الدمع وانتثرْ
يا لَقلبٍ مولَّه ... شفَّه الوجد فاستعرْ
ذكرياتٌ هى الحياةُ ... وماضٍ هو العمُرْ
مَنْ رعاه فقد وفى ... مَنْ قلاهُ فقد كفرْ
ليس فى شِرْعةِ الهوى ... هائمٌ إن نأى غدرْ

مستقبل العلم

للأستاذ خليل السالم

إن التطلع إلى الأمام ، وبحث المستقبل وتصوره ميزات يتسم بها الرجل الحصيف أو الدولة الواعية أو الحضارة العاقلة . ومهما يتضمن هذا البحث من سمة الخيال ، وأحلام الشعراء ، وطوبيات الفلاسفة فإنه دون ريب يجعل من المستقبل صورة مثالية حية فى فكر الإنسان ، تتكيف حسب آماله ورغباته وتفرض على الواقع أن يقترب منها ويسمو إليها

والعلم اليوم يجتاز مرحلة قاسية عصيبة من مراحل تطوره تدخل إلى نفسه شيئاً غير قليل من الحيرة والقلق على . مصيره ؛ فبعض المفكرين يصبون عليه نقمة السماء ولعنة الأرض ، ويدعون أنه علة الشقاء والويلات التى تحيق بالبشر وتفسد حياتهم . لقد سخر الأرض لتدب عليها جبال الحديد ملؤها الموت والدمار ، وسخر الهواء لتركب متنه نافثات اللهب وقاذفات القنابل وحاملات الجراثيم والغازات ، وسخر الماء لتمخر عبابه مدن النار وألغام المغنطيس التى تلقى فى اليم بملايين الأرواح دون أن تقيم للحياة أى وزن ؛ وأتاح لنار الحرب أن تمتد وتأكل اليابس والرطب لا يسلم من أخطارها وفظائعها قطر أينما كان موقعه على وجه الأرض . وبوجه عام لقد وضع العلم فى يد الشر والعدوان معاول الهدم التى تدك صرح الحضارة وتطمس معالمها

وفشل العلم فى أيام السلم أيضاً ، فالآلة التى قدمها لتعزز الصناعة وتضاعف الإنتاج وسعت نطاق البطالة وتركت ملايين العائلات تتضور جوعاً وترتجف عرياً وتعمى جهلاً . وحرم العلم ملايين العمال أى متعة وأى هناء بينما كدس لأصحاب العمل المال الطائل والربح الوافر . فالنظام الاقتصادى الذى تمخضت عنه الصناعة العلمية جائر سيء لا ييسر لجميع الطبقات أن تستفيد من الإنتاج وتأخذ قسطها العادل من الثروة ، فكان الفقر المدقع وكانت الأزمات المروعة ، وكانت الثورات الدامية

ومن جهة أخرى ينظر رجال السلطة الذين استفادوا من العلم أولاً إليه كأنه خطر يضعه الفكر تحت مناصبهم وعروشهم ، فإنه إن قوى وامتد وعم جميع الطبقات كما تبشر الحركات العلمية الناشطة فإن هذا اللغم سيشتعل بالاحتكاك المباشر وينسف تلك الكراسى ، وينزع السلطة من أيديهم ، ويقلب النظام القائم فتتغير القيم الأخلاقية ، وتتعدد أنماط الحياة وتتعقد

وفشل العلم فى دراسة طبائع الناس ، فبينا العلم الفنى التطبيقى يعدو ويطفر ، إذا العلم النفسى الاجتماعى يتسكع ويدور حول نفسه ؛ فالقوانين المسنونة لا تمنع الجريمة ، ونوازع الشر والإثم تساور الأخيلة ، والنفس البشرية لا تزال متخلفة إلى الوراء تحمل فى طياتها بقايا الوحشية التى تشحذ أظفارها وتكشر عن أنيابها كل عقد من السنين فى الحرب الضروس . وها هى ذى الإنسانية تتجرع غصص حرب طاحنة شاملة ، وإذا تساوت الأمور فسيبقى شبح الحرب المرعب مهدداً حلم الأمن والطمأنينة فى نفوس الناس

وأخو الحب ثابت ليس يلويه مزدجر
ربما عاش بالمنى ربما عاش بالفكر
هو ذا الزورق الحبيب على مائك انحدر
حمل الأنس والرضا والمسرات والبشر
واستفاضت لحونه تغمر البدو والحضر
ها هنا يطرب الثرى ها هنا يشعر الحجر
ها هنا تسلس الطباع وتستأنس الفطر
غنني أطيب الغناء وناج الذى خطر
فلقد يثمل الهوى ولقد يسكر الوتر

* * *

إيه (بغداد) هل يعود الجلال الذى اندثر
فأرى تاجك النضير على الكون ينضفر
وأرى الأرض كلها وهى مهد ومستقر
آية أنت فذة كل ما لك مبتكر
من تلاها فته تلا مصحف المجد والسور
حفظ الدهر ذكرها وروى للغد الخبر

(دمشق) — أنور العطار

قال رئيس معهد تقدم العلوم البريطاني في فرصة سابقة : « إن سعادة البشر ورفاهته لا يتأثران بكبت جذوة العلم ، وإغلاق جميع المختبرات الكيميائية والطبيعية ولو لمدة عشر سنوات » ترى أيأخذ العالم بهذا الاقتراح ويعمل بموجبه في المستقبل ؟

لعل أسئلة كثيرة تتردد على شفة القارئ الآن ، واعتراضات عنيفة تدور في خلده ، وهي لو انطلقت بحرية لصاحت قائلة : والآلة البخارية ، والمحرك ، والمولد ، والتلغراف ، والنور الكهربائي ، والسينما ، والطائرة ، والأسمدة ، والأصبغة ، والراديو ، والتلفاز ، وأشعة إكس ، والبنيسيلين ، وغيرها ... كيف تنسى ؟ أليست هذه دعائم المدنية الإنسانية التي نعتز بها ونسعى للمحافظة عليها ؟ ألم يقدم العلم كل هذه لترفه عن الإنسانية وتسمو بها إلى السعادة والكمال ؟

حقاً إن الحضارة ما كانت لتزدهر ، وإن الطبيعة البشرية ما كانت لتبلغ بعض تطوراتها لولا إرشاد العـــلم وقيادته الحازمة . إن شجرة العلم الباسقة تؤتى ثماراً يانعة حلوة طوراً ، وتؤتى حنظلاً وعلقماً في طور آخر . ترعى العلم ملائكة الرحمة حيناً وتستغله مردة الأبالسة حيناً آخر . أفلا يستحق هذا المخلوق الفكرى العجيب وقفة قصيرة تتأمل فيها مصيره ؟ أينبذه العالم ويعود إلى الخرافات الرقمة القديمة ، أو يعتمد عليه في حل مشاكل الحضارة الراهنة ؟ وكيف يتسنى بناء عالم سعيد يشعر الأفراد فيه بالحرية والرخاء ؟

علمنا التاريخ أن ندرس المستقبل على ضوء الماضي ، فتيار النشاط البشرى واتجاه الحوادث العام يوحيان باتجاه المستقبل وحوادثه . وأصلح السبل للنجاح في المستقبل ستكون هي السبل التي نجحت في الماضي مع أي تعديل يفرضه الوضع الجديد . والنتائج القادمة المتوقعة تبنى على المقدمات المعلومة المفروضة . وبناء على هذا يمكننا رسم صورة لمستقبل العلم لها حظ غير يسير من الصدق والحقيقة والقرب من واقع الحياة . ولعل القارئ لا ينتظر مني أن أتنبأ بالاكتشافات الجديدة في لباب العلم ، أو النظريات التي ستوضع في المستقبل ، فهذا يكون اكتشافاً لها أو وضعاً وأنا أعجز عن مثل هذا . ويطول بي البحث إن عرضت كل مجالي التقدم في علم الطبيعة مثلاً بفضل المكرسكوب الألكتروني (الكهيربي) أو تلسكوب الأشعة تحت الحمراء ، أو التلفزة أو الكهرباء المتموجة ، أو حاولت التعليق على آفاق الكيمياء التي سيفتقها علم الطيف وتحليل الأشعة السينية وعلم البلورات الجديد ، أو ذكرت ما يتوقعه العلماء نتيجة درس الأفعال الكهرطيسية في الأجسام الحية وانقسام الكروموسومات في الخلية ، ومدى تأثير ذلك على الوراثة والعمر أعني تطور الإنسان وخلوده . فبحسبي إذن أن أشرح التفاعل بين العلم المنظم والمجتمع ، وعلى أي وجه ستكون العلاقة بينهما

لقد كشف العلم كثيراً من أسرار الكون والحياة ، وبرع في استخراج الطاقة من مكامنها الطبيعية . تدخل في الصناعة فتضاعف الإنتاج ، وتدخل في الزراعة فارتفعت الغلة في روسيا والولايات المتحدة إلى عشرة أمثال ما كانت عليه . وتدخل في الطب فقمع معظم الأمراض السارية وأتقن سبل الوقاية فارتفع معدل العمر في الأوساط الراقية علمياً ارتفاعاً بيناً (متوسط عمر الإنسان في الهند ٢٦ سنة وفي انجلترا ٥٥ سنة) . وتدخل في مسائل الفكر فحرر العقل من قيوده وعبوديته للخرافات والشعوذات العامية . والإنسان لم يشتمل ذكاء وحيلة في المائتي سنة الأخيرة ، مع أن منحنى التقدم في كل ناحية من نواحي الحياة خلالها قد أسرع في الارتفاع . ولكن الطريقة العلمية الحديثة وراء هذا التقدم السريع ما تمكننا من أن نحكم ببساطة أن العلم وحده يستطيع أن يضمن للبشرية حياة رغدة هنيئة ، وإن شلل العالم لا يشفيه أي نظام لا تسوده نواميس العلم ومخترعاته . وهو بالإضافة إلى أنه يضمن التقدم الآلي الذي يضمن التقدم العقلي ، فالإنسان الذي لا بد أن يؤمن بشيء يركن إليه في حل مشاكله وابتداع أسلوبه في الحياة ، يجد من الأسس العلمية الثابتة المنطقية المتسقة ما يرتكز عليه ويطمئن له ويحيا به . ولو عدنا إلى تلك الجرائم التي ألصقناها بالعلم لوجدنا أنه لم يكن سبباً مباشراً لها ، فسدنة العلم وخدامه لم يتطوعوا لخلق المشاكل ولم يقصدوا في نضالهم التخريب والتدمير . ولكن النواميس التي تجلت لهم في لحظات الإلهام والعبقرية تطبق على وجه فاسد . وهذا التطبيق هو الذي أفسد الأرض . ولذا أعتقد أن العلم في المستقبل سيبدأ من هذه النقطة إصلاحه للمجتمع ، فلن يسمح

بعد الآن لرجال غرباء عنه تسوقهم الأثرة والجشع والنهم المادى أن يشوهوا وجهته باستغلال مبتكراته على وجه فاسد لئيم ، بينما يقصد بها أن تكون نافعة مجدية ، يتبعها العلماء بالملاحظة اليقظة فلا تستغل إلا فى سبيل الخير العام . وكى يتسنى للعلماء تنفيذ هـذا القصد النبيل يجب أن تلقى إليهم بمقاليد السلطة ومقدرات الحكومة . قد يذكر الآن فشل أفلاطون فى نقل جمهوريته الفاضلة من حيز المثل إلى حيز العمل ، ولكن فرقاً واحداً سيجعل من العلماء حكاماً صالحين لإدارة دفة المجتمع . وأحب أن أحترس أولاً خشية أن يساء فهمى . بأنى لا أقصد وضع (أينشتين) و (بلانك) و (بندهام) و (ادنقتن) و (مشرفة) وغيرهم ممن الف لقهم فى مناصب الحكم والسلطة ، وإنما أرى أن مقاليد الأمور لن تسلم بعد الآن لأشخاص لا تكفى مؤهلاتهم العلمية الاختصاصية لجعلهم فى الطليعة . وقد رأينا بوادر هذا فى روسيا حيث يدير كل مصلحة رجلها الفذ المختص . وفى انكلترا عند تدبير اقتصاديات الحكومة المتحدة والإشراف عليها ، أو عند وضع مشروع خطير كمشروع (بفردج) ، وفى أمريكا حيث يطبق هذا المبدأ على نطاق واسع ، فالاعتقاد بأن المشاكل لا تحل إلا بالاختصاص العلمى والتفكير العلمى أصبح جازما أكيداً

وسبب آخر يجعلنا نؤمن بأن العلماء سينجحون فى مهمتهم هذه هو أن جميع الأفراد فى المجتمع سيتثقفون بالثقافة العلمية الصحيحة ، ويتبينون وجهة النظر العلمية فى تدبرهم الآراء والأشياء . وهم بهذا سيرتفعون إلى مستوى ينظرون منه إلى المتفوقين نظرة التشريف والاحترام والاعتراف بالسبق والفضل . ومن هنا نستنتج أن الخطوة التالية هى نشر الثقافة وشيوع العلم بشتى الوسائل كالمدارس والجامعات وقاعات المحاضرات المجانية والصحف والمجلات والأفلام السينمائية . فقائدة المجتمع تتطلب إتاحة الفرصة ليتعلم كل الأفراد ، وتتطلب استخدام النابغين بنسبة مواهبهم ، وتوزيع المناصب على الشعب دون أن تقتصر على فئة محدودة لها مصالحها ورغباتها المحصورة فيها

وستضبط هذه الحكومة الواعية مسالك الإنتاج والاستهلاك فيقوم العلم بالشق الثانى من واجبه فى خدمة المجتمع ، فقد نوع الإنتاج أولاً وضاعفه ، ولكنه سينشد فى المستقبل العدل كل العدل فى توزيع المصنوعات . ولن يكون استغلال رأس المال فى المشاريع التى تدر أوفر الأرباح ، وإنما يكون فى المشاريع التى تدر الغنم على أكبر عدد من الناس . ولذا توحى الحكومة أو تأمر بتنفيذ بعض المشاريع بينما تحرم غيرها . ولن يسرف فى استنفاد المواد الخام الضرورية . وعندما تجدب مناجمها رغم التدبير ؛ فسيسعى العلم فى أن يعوضها بما يسد مسدها فتحل الأغذية والألبسة والزيوت الصناعية محل ما تقدمه لنا الطبيعة منها . وربما تضطر الحكومة لتحديد النسل أو إكثاره ، لأن عدد السكان إن زاد أو نقص عن معدل معلوم سيزعج اقتصاديات البلاد وينغص عيش الأفراد . وهى فى محاولاتها هذه ستحسن النسل ، فتكون الأجيال القادمة أصح جسما وعقلاً . وربما لا تحتاج الحكومة إلى أن تضع يدها على المصانع والمنشئات ولكنها بأى طريقة مناسبة ستقمع الاحتكار والمضاربة واللعب بالأسعار والتضخم المالى وتوزيع الثروة السيء ؛ وسترفه عن العمال ، لأن الآلة تقوم بالعمل الرتيب الممل ، وتراقب هذه الآلة العين الكهربائية ، وتحس بها الأنسجة التركيبية بدل اليد ، وتستخدم الأذن الصناعية فيما تستخدم فيه الأذن الطبيعية ، فتقل بذلك ساعات العمل ويتسع الفراغ . وأوقات العمل نفسها ستكون شيقة لذيذة . أنا أصعد المدرسة مبكراً عند ما يصلح الراديو فيها للاستعمال ، وأتركها متأخراً عندما ألعب كرة الطاولة ؛ وعلى هذا القياس سيولع العامل بمصنعه لزيادة وسائل التسلية والترفيه وتنوعها ، وسينتظر الذهاب إلى العمل بفراغ صبر أو برغبة عادية ؛ ويخرج منه لإزجاء الفراغ فى تنمية مداركه وتوسيع اختباراته وتبليغ رسالة خاصة نبيلة للمجتمع . فالفرد لا يعيش فى المجتمع على الهامش ويموت كنملة فى جحر الأبدية ، وإنما يكسب المجتمع من الصفات التى تثمره بعزة الانتساب إليه ؛ فتتجه الحيوية الكامنة فى الشباب نحو غايات مخصوصة يرسمها أعلام العلم . فالمجتمع لن يتطور اعتباطاً وبدون قصد

وسيكون للدين والفن مقام كبير فى نفس الرجل العلمى . وسيعتنق فلسفة الدولة ويؤمن بهما غير مكره كما هو الحال فى

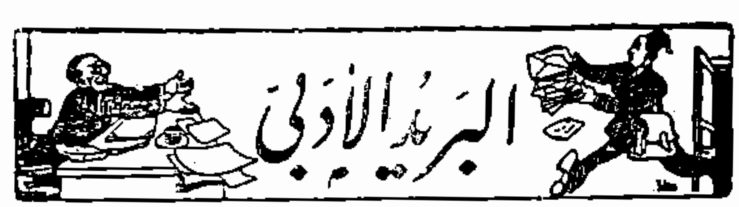
بعض الحركات الفكرية السياسية المعاصرة ، بل لأنها فلسفة صادقة قيمة مستقاة من وحي العصر والبيئة . وستلغي المعتقدات الموروثة التي لا تقوم على أسس علمية واضحة بنفسها ، فيفتر الشعور بالعائلة والقربى مثلاً ، ويتضاءل أمام الشعور بالدولة ، وقد يتطور هذا فيصبح إيماناً بخير الإنسانية جمعاء ، فلا أكتم هنا أنني أومن أعمق الإيمان بأن وحدة العالم ستكون الهدف الأبعد الذي تتجه إليه جهود الشباب في المجتمعات العلمية . وسياق النور الجديد على غرائز النفس ونزواتها فيهذبها ويشذبها وينشط الصالح ويخفي الطالح منها ، فحب السيطرة والحيازة سيفنى ويمحى ، وعند ما يترفع الناس عن مغريات المادة ، ويزول تكالبهم عليها ينزاح كابوس الحرب الجاثم على الصدور وتأمن النفوس ، وترصد الأموال التي كانت تستنفدها الاستعدادات الحربية لبناء المدارس والمعاهد والمستشفيات المجانية . وتجعل دوائر الصحة والبريد وشركات الكهرباء والمادة والغاز والسكك الحديدية وغيرها مصالح عمومية تديرها الحكومة كخدمة مجانية للشعب

سيطول هذا البحث ويتشعب إن وصفت أسلوب الحياة في العالم الجديد من حيث الغذاء والملبس والمسكن والعلاقات الجنسية والاجتماعية ووسائط النقل والمواصلات ، فأكتفي بما فات عن علاقة العلم بعقبتين كؤودتين تعترضان سبيل الحضارة والتقدم أعني الحرب والتوزيع الاقتصادي . ولا أشك أن معظم أحلام هذا المستقبل ستحقق بالضرورة بعد الحرب ، وقسم آخر سيؤجل تحقيقه عاملان : أولهما قوة الاستمرار في عقليات الناس ، ومحافظتهم على القديم ؛ ولكن تاريخ العلم يقطع بأن العلم لم يستنفد طاقة وجهداً كبيرين في تحويل الرأي العام عن المذاهب الفاسدة التي تنطوي في تضاعيفها عوامل هدمها واضمحلالها . والعامل الآخر مقاومة العناصر المنتفعة التي ترى في بقاء النظام القائم بقاء لسلطانها واستئثارها بأطايب الأرض ، وهذه فئة قليلة ضئيلة في المجتمعات لن تستطيع تحويل التيار الجارف أو الوقوف في وجهه وهو ينحدر من عليائه

وقبل أن أنتهي أحب أن أقول كلمة قصيرة عن مستقبل العلم في البلاد العربية خاصة . فلا يدري أحد متى يكون هذا المستقبل الذي صورته حقيقة واقعة واضحة المعالم شاملة التفاصيل في العالم أجمع ؛ ولذا يكون من واجب العالم العربي أن يستعد في فترة الانتقال هذه ، ويعي كل الأوضاع والنظريات العلمية الحديثة التي سيبنى عليها العالم الجديد . إن البلاد المتأخرة علمياً لا تنال تقدماً ذاتياً سريعاً ، فلا بد للحكومات أن تبذل الجهود في هذا السبيل وتشرف على نشر الثقافة العلمية ، وخلق البيئة الصالحة لأن يسمو العلم فيها ويترعرع . وقد نشرت في (الرسالة) سابقاً بحثين أجملت في أحدهما خصائص البيئة العلمية ، وفي الآخر شرحت كيف عممت روسيا الثقافة العلمية وبنت المختبرات ونظمت ميادين البحث والتحقيق فبلغت في غضون عشرين عاماً مستوى علمياً مشرفاً . ولعلنا نحسن صنعاً إن درسنا تلك السبل القويمة ووضعنا خطط التقدم التي تناسبنا . والواقع أن أغلب الحكومات العربية بما تولي العلم من بعض التشجيع والتنشيط تشعر بضرورته لبلوغ التحرر الفكري والتحرر الاقتصادي والتحرر السياسي . ولكنها في المستقبل القريب ستضاعف هذا الاهتمام وتعز العلم وتنيله حقه الكامل من الرعاية والتشجيع .

خليل السالم

(ثانوية السلط) ب . ع . الدرجة الأولى في الرياضيات



٦ — الشعر الجديد

قد يكون مما يدخل فى أحاديثنا هذه ويتعلق بأطرافها ، أن أعرض لبعض ما يدور من آراء حول (الشعر الجديد) . فالناس لا بد متحدثون فيما تطالعهم به الصحف ، ولا سيما حديث الشعر والشعراء ، والكتابة والكتاب ، فهذا ميدان يجول فيه كل جائل ، ويصول كل صائل .

ولقد سمعت كثيراً فى موضوع هذا الشعر ، وقرأت كثيراً . ولكن الكثرة الغالبة ممن قرأت لهم ، أو سمعت منهم ، يرمون الكلام على عواهنه ، غير داعمين قولاً ، أو قاطعين بحجة ؛ وإنما هى أحكام تسرد سرداً وتلقى جزافاً . وكثيراً ما تكون غير مستندة مطلقاً إلى قراءة ، أو راجعة إلى دراسة . . . وما أكثر الثناء والإطراء بيننا ! وما أعظم ما يتحكم الهوى ، ويستبد التعرض ! وتقارض المديح داء عياء فى بيئتنا الأدبية ؛ فاضمحل النقد وصوح ، بعد أن كان يوماً مزدهراً مونعا . وخلا الجو للبغاث فاستنسر ، وللباطل فران على الحق ؛ فإن رأيت نقداً فقوامه همز ولمز ، وتعريض وتجريح

وإنى مكتف هنا برأيين اثنين علقا بذاكرتى لغرابتهما ، ولكثرة ما يتداولها ناس من الناس

فقد قالوا إن هؤلاء المجددين — سواء أكانوا شعراء أم كتابا — إنما ينهجون مناهج الإفرنج فى أخيلتهم وتصوراتهم ، ويحتذون فنهم ، ويستعيرون منهم ، ويحاكونهم فى تشبيههم ومجازهم ؛ فقد طال عهدنا بالقديم ، ونالنا منه السأم . . . وما ضر لو أرسلنا فى شعرنا من شعرهم دما جديداً ، وبعثنا فى نثرنا من نثرهم حياة جديدة ، فنجارى الزمن فى حركته ، ونساير العصر فى تطوره ؟

هكذا قالوا

وإن تعجب فعجب أن يصدر مثل هذا الكلام عمن يعقلون ؛ فهم بلا شك مقلدون ، يرددون ما لا يفهمون . أيجرؤ ملم بلغة أجنبية راقية أن يلغو هذا اللغو ؟ أمامنا الأدب الرفيع من أدب الغرب ، وهذا شعرهم ، وهذا نثرهم ، فليقرءوا وليحكموا

فهل مما يعقل أن يكون ثمة صلة أو شبه صلة بين لغط هؤلاء المتشاعرين وأشباه الكتاب ، وذلك الأدب الغض ، والبيان الرائع ، والقول المبين ؟ إنهم لأعجز من أن يردوا هذا المورد ، أو ينهلوا من ذلك المنهل ، وإنهم لأقصر باعاً من أن ينالوا ذاك المنال

ولا عليكم — إذا أعوزتكم لغة الإفرنج — أن ترجعوا إلى ما ترجمه أعلام أدبائنا عنهم . فهذا حافظ فى « بؤسائه » ، ومطران فى شكسبيرياته ، والزيات فى « آلام فرتر » ، والمنفلوطى فى رواياته ، وغير هؤلاء ممن نقلوا فأجادوا النقل وفهموا فأحسنوا الفهم

فارجعوا إلى هذه التآليف البارعة ، تروا كيف يفكر الإفرنج ، وكيف يتخيلون ويتصورون ، وكيف ينقشون ويصورون ؛ وتروا أيضاً نصاعة العربية فى أقلام هؤلاء الأفذاذ وصفاءها ونقاءها ؛ وتميزوا القدرة الفائقة من العجز الفاضح ، والديباجة المشرقة من العِيِّ الواضح

والرأى الثانى أسوره فى حوار وجيز فى مجلس من أصحابنا ، وقد تذاكرنا (الشعر الجديد) فقد اندفع من بيننا رجل فقال : إن ما ترونه ياقوم فى بعض هذا الشعر من التعمية والخفاء إنما هو قصد إلى الرمز والإشارة . ألا ترون إلى بعض المتصوفة كيف يعمى فى شعره ، أو يغَنِّى[1] فى حديثه ، وهو يشير من طرف خفى إلى ما لا يتبين من ظاهر ألفاظه ؟ فهكذا الحال هنا . فقلت له : وإلام يرمز شعراؤنا هؤلاء يا سيدى ؟ فقال : إنهم يختلفون فى نزعاتهم وأغراضهم ، فيتغايرون — تبعاً لذلك — فى مراميهم البعيدة . فقلت : أمؤمن أنت بما تقول ؟ وهل اكتنهت شيئاً من هذه الرموز ؟ هات — رحمك الله — فأطرفنا بعضها[2] ، وفك لنا مستغلقه

فسلك يده فى جيبه فأخرج دفتراً ، فتلا منه أبياتاً لأحدهم ثم أخرى لغيره ، ثم مقطوعة لثالث ، ثم كر راجعاً ، وطفق يشرح . فلا وربك ما وعى مما قال شيئاً وما وعينا ، وما فقه وما فقهنا !

فقمت عن المجلس وأنا أقول فى نفسى : لقد خبنا بالأمس فى حل طلاسم (الكاتب المجهول) فإذا نحن فى حل هذه الطلاسم أخيب !

(للحديث بقية) (ا . ع)

(١) يغني : يستر (٢) أطرفه شيئاً أتحفه به

خصومة لا عداوة النقاد والشعراء

صديق صاحب « الرسالة »

مهدت السبيل لصديقنا ناقد الرسالة أن يصول فى موضوع « الميل إلى الهدم وصراع الديكة بين الأدباء والفنانين » ومنحت نفسك سلطة الدفاع المستتر عن ناقد الرسالة بحذفك شطراً من كلمتى التى وجهتها إلى صديق ناقد (الرسالة)

فعلت ذلك ، ياصــديق ، إرضاء لطبيعتك الهادئة ، ونحيزتك التى تأبى الخصومة ، لا اندفاعاً مع غرض أنزهك عنه . وكم أتمنى أن يحزبك الغرض النبيل فتسمع قراء الرسالة غضبة كتلك التى أطلقتها على سجيتك يوم كتبت (فلاحون وأمراء) ، فعرفوا فيك منها ، كيف يكون الكفاح الحق عن الحرية ، وكيف تكون تنقية الطبقات وتمييز البر منها من الزوان ، وكيف تكون صولات النقد في حلبة الخصومة ، ولا فرق عندى بين النقد الاجتماعى والنقد الأدبى إلا فى الصيغة

إذن لامحيد لنا ياصديق فى كل بناء للحياة ، من خصومة هادئة كانت أم صاخبة ، لا تبلغ فى حال من الأحوال حدود العداوة . أقول لا محيص لنا من خصومة تكون الرسالة منبرها العام ، وتكون أهدافها كتابها ومن يتصلون بهم وبها من العاملين فى حلبة الحياة

يريدنا صديقنا ناقد الرسالة ، تمشياً مع خطة الرسالة المستمدة من طبيعة صاحبها أن نتخذ من اللين أداة يستحث بها الشعراء على شحذ قرائحهم ، وجلاء بصائرهم ، وصقل شعورهم وأحاسيسهم ليرسموا بأقلامهم صوراً واضحة الخطوط والمعالم لطبيعة ما يصورون ويرسمون . فإذا ما أنف أستاذ كبير كالأستاذ (ا . ع) وتأفف من سماع أصوات هؤلاء الشعراء قيل له إنك تجرد عليهم « حملة تأديبية » وإذا ما قلت لصديق ناقد الرسالة ، إننا فى حاجة إلى القذف بطائفة من شعراء الشباب إلى النار ، نار النقد تنقيهم وتطهرهم ، وإلى (تجريدة) تأديبية نشنها على النقاد ، وقفت أنت يا صاحب الرسالة تصد عنهم الهجمات شفقة بهم ورثاء لحالهم بسلاح قاطع من اللطف والذوق والروح الإنسانى النبيل

وبعد هذا ، أزعم أن الفرق بينى وبين ناقد الرسالة ، وبينى وبينك يا صاحب الرسالة يتلخص فى أن القسوة فى النقد — فى اعتقادى — أجدى وأنفع للشاعر الناشئ والشاعر الذى أدركته الكهولة ولم ينضج بعد ، لأن الصراحة فى النقد — فى اعتقادى أيضاً — هى الحد الفاصل بين الإقدام على الحياة بروح المتوثب المتحدى ، وبين الإحجام عنها . أما أنت ياصديق وناقد الرسالة أيضاً تريان عكس رأيى فى القسوة فى النقد وصراحته ، وبذلك يتوهم المهازيل من شعراء الشباب أنهم عباقرة سبقوا جيلهم ، وأن الواحد منهم هو إله الشعر وحده وسواه العدم وهذه هى الطامة الكبرى .

حبيب الزحلاوى

لقد ظلموا شعراء الشباب !

أكاد ألمــح فى أكثر ما قرأت غمطاً لحق شعرائنا الشبان ، وتثبيطاً لعزائمهم ؛ فأكثر ما أقرأ يدور حول الزراية بأسلوبهم ، والغض من أخيلتهم ، ورمى كثير منهم بالغموض تارة ، وبالمروق من مألوف العرب تارة أخرى ؛ وما انصرف كاتب منصف لبيان فضل أولئك الشباب فى شق طريقهم إلى المجد بين مختلف العثرات ، ومسايرتهم النهضة الحديثة فى طرائق التفكير ، وتساميهم بأساليبهم بين أمواج الدخيل وعواصف العجمة وظلمات العامية المطبقة التى تأخذ على العربى سبيله فى المسارح والمجالس وكثير من المجلات المغرمة بإرضاء العامة ؛ وأستاذنا الكبير (ا . ع) قادر بما له من واسع الثقافة ، وطويل الخبرة ، وأسلوب الحليم على أن يجعل من بحثه الرائق معهد نقد (بمعناه الأعم) يصف الداء ، ويتبعه الدواء ، والأستاذ دريني خشبة فى استطاعته وهو المُواكِبُ لنهضة الشباب أن يجلو محاسن شعرهم ، ويبرز للقراء لمات العبقرية فى أشعارهم ، ومواطن الرجاء عند أكثرهم ؛ وإذاً يجد القارئ قضية الشباب مبسوطة جلية ويستمع لأنصارهم كما يستمع للزارين عليهم . أما أن نبسط فى أمر هؤلاء الشباب صحيفة السيئات ونطوى ما عداها وهم خلفاؤنا — رضينا أو سخطنا — على تراث الأدب فإن ذلك ليس فى شرعة الإنصاف ، وقد يكون له عواقب بعيدة المدى فى تثبيط العزائم

إذا كان فى أسلوبهم ضعف فأين مواطنه ؟ وكيف يستطيع بعضهم أن يرضى قراء البحترى والمتنبى وأبى فراس وابن هانئ وأمثالهم ؟ كيف يستطيع بعضهم — ممن لم تُيسر لهم دراسة أدبية خالصة — أن يظفروا بإعجاب أولئك السادة وما وجدوا أمام أعينهم فى أكثر مراحل التعليم إلا مختارات ضئيلة وتراجم قليلة تُعنى بفلسفة البحث أكثر من عنايتها بطرائف الأدب ؟

عدّلوا أساليب الدراسة الأدبية ، ويسروا على شبابنا سبل الوصول إلى كنوزها ، وزودوهم بمراجع الشعر مجلوّةً مسفرة ، ثم وجهوا درس الأدب إلى تذوق الجمال الفني قبل غيره من بحوث فلسفية قليلة الجدوى ؛ وإذاً لا يكون للشعراء الناشئين إلا أن يُجوّدوا أو يتعرضوا للنقد اللاذع الصريح

وإن كان في أخيلة بعضهم شيء من الغموض وجنوح إلى التهاويل فهل خلا شعر هؤلاء من نفحات الشاعرية ، وومضات العبقرية ؟ وهل خلا شعر أبي تمام والمتنبي والمعري وابن هانىء وشوقي والزهاوي من عُقد في الخيال ، ودقة في التصور حيرت الباحثين أزماناً ؟ أليس الزمن وحده والنقد الرفيق الموجه أجدى على شعر الشباب من هذه القسوة التي لا يبررها نبل أصحابها وشرف مقاصدهم ؟

(الإسكندرية) م . ع الهمشري

حول شعراء الشباب

أخونا الأستاذ « دريني خشبة » رجل طيب ما في ذلك شك . وآية ذلك أن يفهم أنه يمنح أحداً من الناس شيئاً ، أو يسلب أحداً من الناس شيئاً ، بشيء يكتبه على نسق ما يكتب في هذه الأيام . وسبحان من أودع في كل قلب ما أشغله !

وآية ذلك كذلك ، أن يشفق على الشبان من الأستاذ الجليل « ا . ع » هذا الإشفاق ، وأن يأرق منه هذا الأرق . وأن يفهم « أنه رجل يستطيع أن يقضي على الجهود التي بذلتموها يا معشر الشعراء الشباب في سبيل تجديد الشعر العربي » ...

وإنه ليعز عليّ أن يساور الأستاذ « دريني » كل هـذا القلق على « شبانه ! » الذين يشملهم برعايته ، ويجد من بعضهم — المتواضع — البر والشكران ، ومن بعضهم — المتكبر — العقوق والكفران . فأحب أن أرد إلى قلبه الطمأنينة ، وإلى عينه الكرى . فلا — وحق طيبته علينا — فما الأستاذ الجليل « ا . ع » بصانع شيئاً في شعراء الشباب ، بمثل هذا الكلام (العايم) الذي قصاراه أن يندب شعراء الجيل الماضي ، وأن يزري بشعراء هذا الزمان . وما الأستاذ الجليل أيضاً « دريني خشبة » بصانع شيئاً لشعراء الشباب بمثل هذا الذي يكتبه

ونحن — مع كل هـذا — أميل إلى « مفهوم » رأي الأستاذ الجليل (ا . ع) في معظم ذلك البهرج الزائف الذي يفتن به الكثيرون من الشبان . وإذا احتجنا يوماً إلى توسيع آفاق الشعر عن مدى ما يستطيع أن يفهمه الأستاذ الجليل منه ، فإننا سنكون أحوج إلى إنقاذ الشعر من مثل هذا البهرج

وإني لأرجو في النهاية ألا أكون قد أزعجتُ طيبة مولانا الأستاذ (دريني) وإنني لصادق حين أقسم له أن لا شيء أعز عليّ من طمأنينة هذه الطيبة المبروكة .

سيد قطب

الصراحة والأدب والنقد

قرأت في إحدى المجلات ما كتبه الدكتور زكي مبارك عن تأثره البالغ مما كتبه أحد الأدباء عن كتابه (النثر الفني) في مجلة (الرسالة) ، وكنت أظن الدكتور المبارك أكثر احتمالاً لهجات النقد أكثر مما رأيت اليوم ، لأن الاحتمال والمرابطة من شأن من يصاولون ويناولون ، وما أكثر ما صاول ونازل الدكتور لمناسبة ولغير مناسبة ! أما مأخذه على صاحب (الرسالة) من العقوق للأصدقاء ، فهو حجة على الدكتور لا له ، لأن مَن يخدم الأدب الرفيع يجب أن يكون على هذه الرفعة من الأخلاق العالية لا يحابي صديقاً ، ولا يناصر فريقاً ، إنما العيب كل العيب أن ينشر الناشر نقد الدكتور (مبارك) وهو أمشاج وأخلاط من الإغلاظ والإفحاش . ومثل الرجل (الزيات) كمثل ذلك الأبي العربي الذي يقول : (إن قولة الحق لم تدع لي صديقا)

أكتب هذا بمناسبة طلب إحدى المكتبات إليّ أن تنفرد بنشر كتاب لي في النقد الذي يعمل برسالته الزيات جاهداً ، فعند ما مثل الكتاب بين يدي مديرها قال : ألا تظن أن نشر هذا الكتاب يغضب كثيراً من كبار الكتاب ؟ قلت : وما يهمك من غضب الناس ما دمت تريد خدمة الأدب بنشر كتاب للنقد ؟ ! قال يحرمون نشر كتبهم علينا ! قلت : إن الأدب لا يخدمه « التجار » وإنما يخدمه أبناؤه الأبرار ، واعتزمت طبع كتابي ثم بدأت

هذه يا دكتور قصة (كتاب وتاجر) . فهل كنت تأمل أن تخلق من الزيات تاجراً يعقُّ الأدب ولا يعقك ، أو تمنع عنه كتبك ؟ ! هذا ما أرجو أن تتدبره ويتدبره الكتاب والقراء جميعاً ، فليست العبرة في أن يفقد الإنسان أصدقاءه في سبيل رسالة الحق ، وإنما العبرة في أن يصبح الأديب بعد حياة حافلة أداةً للارضاء والإبقاء على الأصدقاء

(ع . س)